ليبيا
عبد الرحيم قاسو

شهد العام ١٩١١ وصول الإيطاليّين إلى مدينة طرابلس، وبالتالي بداية الاحتلال الإيطاليّ لإقليمَي طرابلس الغرب وبرقة، اللذين توحّدا في العام ١٩٣٤ ليشكّلا ليبيا. في ثلاثينات القرن العشرين على وجه الخصوص، حلّت السلطة الفاشية على امتداد هذه المساحة الشاسعة، لتأسيس منشآت تخدم غاياتها الأيديولوجية. في الواقع، كان الإنتاج المعماريّ في عشرينات القرن منسجماً نسبيًّا مع ما بُني في الفترة نفسها، مع إشارات شبه واضحة إلى فنّ الآرت ديكو أو "الطراز الغربيّ المعرّب". لكنّه ما لبث أن واجه في الثلاثينات قطيعة ملحوظة مع الإنتاج السابق كما مع كلّ ما خبِرته البلدان المغاربيّة الأخرى في حينه. واستُثمرت العمارة في خدمة السلطة ورموزها كما تجسّد بتمثال الدوتشي ممتطيًا حصانه ورافعًا سيفه، كما بقوس النصر المعلميّ المنتصب على الطريق الساحليّ، وهو من تصميم فلورستانو دي فاوستو. وتمثّل أعمال هذا المعماريّ نماذجاً لعمارة السلطة وقد صمّم في ليبيا، من بين أعمال أخرى، فندق طرابلس الغرب الكبير. إلى ذلك، تميّز الاستعمار الإيطاليّ لليبيا بأعمال رئيسة أهمّها إنشاء عدد من القرى الزراعيّة لاستيعاب مستوطنيه، صُمّمت لسكن ما بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ نسمة يتوزّعون على مساكن حول ساحة مركزيّة محاطة بمرافق هامّة كالكنيسة، بيت الحزب، مكتب الشرطة، المدرسة والمقهى. من هذه القرى مستوطنة جيودا-الكراريم الريفية التي أُنشئت في العام ١٩٣٨ من تصميم المعماريّ أومبرتو دي سينيي.

كانت ليبيا أوّل بلد يحظى باستقلاله في المغرب العربيّ في العام ١٩٥١. ثمّ شهد العام ١٩٦٩ انقلابًا عسكريًّا أطاح بالنظام الملكيّ وثبّت سلطةً استبدادية على رأس هذا البلد الشاسع، الغنيّ بالنفط وبكثافته السكّانيّة الضئيلة حيث كان يضمّ أقلّ من مليونَي نسمة في الستينات، مقابل أقلّ من ستّة ملايين نسمة اليوم.

عملت دولة الرعاية إلى جانب الدولة البوليسية على إنجاز الكثير من المشاريع على مدى السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. وتمثّلت هذه المشاريع بالمساكن والمدارس والمرافق الصحّية، والبنى التحتيّة، أُنشئ بعضها في مناطق نائية وخالية. وتُعدّ جامعة قاريونس-بنغازي اللتي صممها المعماريّ جايمس كيوبت ونفّذت بين العامين ١٩٦٨ و١٩٧٨ من المشاريع المتميّزة آنذاك.

باستثناء بعض المباني الهامّة في العاصمة، وفي بنغازي إلى حدّ ما، كمقرّات المؤسّسات الوطنيّة والإداريّـة، بقي النتاج المعماريّ في ليبيا متواضعاً مقارنةً بالبلدان المغاربيّة الأخرى خلال التسعينيات. لكنّ رفع الحصار التدريجيّ عن البلد في تلك الفترة أفسح المجال أمام شركات فرنسيّة وإنكليزيّة وإيطاليّة كبرى للقيام بتصميم وتنفيذ مشاريع ضخمة تموّلها عائدات النفط. ومنذ إسقاط السلطة في العام ٢٠١١، لم تتبلور بعد ملامح الحقبة المقبلة على مختلف الصعد، منها المعماريّة.

ترجمته عن الفرنسيّة نجلا رعيدي